مجلة قەڵای زانست العلمية

مجلة علمية دورية محكمة تصدر عن الجامعة اللبنانية الفرنسية – اربيل، كوردستان، العراق

المجلد (3) – العدد (4)، خريف 2018

رقم التصنيف الدولي: ISSN 2518-6566 (Online) - ISSN 2518-6558 (Print)

الأنسنة في شعر شێركۆ بێكه س
دراسة في مجموعته (المرأة والمطر)

Humanization in a Poem of Sherko Bekas; Study in his collection (women and rain)

المدرس الدكتور أنوار محمود الصالحي

قسم اللغة العربية / كلية التربية / جامعة سامراء

الأستاذ الدكتور أحمد هاشم السامرائي

قسم اللغة العربية / كلية التربية / جامعة سامراء

معلومات البحث

تاريخ البحث:

الاستلام: 2018/5/11

القبول: 2018/7/2

النشر: خريف 2018

Doi: 10.25212/lfu.qzj.3.4.20

الكلمات المفتاحية:

Literature, human, poetry, rhetoric, humanity, experience, feeling ,.

الملخص

إن من غايات الأدب نقل تجارب الواقع الإنساني بتفاصيله كافَّة، وقد يشكِّل ما فيه خطرًا على الأدباء والشعراء، لجأ الشعراء وبكثرة إلى استعمال أساليب متنوعة تتسم في أغلبها بالغموض وأحيانًا إلى الرموز، وفي أحايين أخرى يميلون إلى استعمال الوسائل البلاغية ذات المعاني البعيدة، لتتوارى خلفها مقاصدهم وغاياتهم، ومن تلك الوسائل (الأنسنة)، حتى شاع عند بعضهم فأصبحت سمة ظاهرة في شعرهم .

ونروم في هذا البحث التعمق الفني في التجربة الشعرية للشاعر الكبير (شيركو بيكه س) من خلال الغوص في استعمالات الأنسنة والوقوف على جماليات الصور الشعرية التي تضمنتها، واستجلاء أبرز الأفكار والقضايا والمشاعر الإنسانية التي أراد التعبير عنها وحملها، فجعلها رسائل هامة إلى الانسانية جميعًا، فوسمنا بحثنا بـ

الأنسنة في شعر شيركو بيكه س

دراسة في مجموعته (المرأة والمطر)

مجلة قەڵای زانست العلمية
مجلة علمية دورية محكمة تصدر عن الجامعة اللبنانية الفرنسية – اربيل، كوردستان، العراق
المجلد (3) – العدد (4)، خريف 2018
رقم التصنيف الدولي: ISSN 2518-6566 (Online) - ISSN 2518-6558 (Print)

مسوِّغات اختيار الموضوع

المقدمة

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله ربِّ العالمين، والصلاة والسلام على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين .

يعدُّ النَّص الشعري الحديث رافدًا مهمًّا من روافد الأدب، وصورة تعبِّر عن الإنسان وواقعه بتطلعاته وآماله وخيباته، وأفراحه واتراحه، وإيجابياته وسلبياته، وتناقضاته، فحمل همومه وأوجاعه وأبرز قضاياه، في عصر زادت معه الأحداث وتشابكت، فضلاً عن انعكاساتها السلبية على مجريات حياته، فسلبت منه الأمان والسلام والطمأنينة والاستقرار .

ولأن من غايات الأدب نقل تجارب الواقع الإنساني بتفاصيله كافَّة، وقد يشكِّل ما فيه خطرًا على الأدباء والشعراء، لجأ الشعراء وبكثرة إلى استعمال أساليب متنوعة تتسم في أغلبها بالغموض وأحيانًا إلى الرموز، وفي أحايين أخرى يميلون إلى استعمال الوسائل البلاغية ذات المعاني البعيدة، لتتوارى خلفها مقاصدهم وغاياتهم، ومن تلك الوسائل (الأنسنة)، حتى شاع عند بعضهم فأصبحت سمة ظاهرة في شعرهم.

ونروم في هذا البحث التعمق الفني في التجربة الشعرية للشاعر الكبير (شيركو بيكه س) من خلال الغوص في استعمالات الأنسنة والوقوف على جماليات الصور الشعرية التي تضمنتها، واستجلاء أبرز الأفكار والقضايا والمشاعر الإنسانية التي أراد التعبير عنها وحملها، فجعلها رسائل هامة إلى الانسانية جميعًا، فوسمنا بحثنا بـ

الأنسنة في شعر شيركو بيكه س

دراسة في مجموعته (المرأة والمطر)

مسوِّغات اختيار الموضوع

دعت مجموعة من المسوِّغات إلى اختيار هذا الموضوع، وهي :

1. اختصَّت الأنسنة بالمزج بين أسلوب اللغة والصورة الأدبية في النص، إذ يعمد الأديب إلى الانزياح الأسلوبي ليرسم عالمًا جديدًا خاصًّا به.
2. يعدُّ الشاعر شيركو بيكه س من الشعراء الذين حملوا القضية الكردستانية بعذاباتها وأوجاعها وأحلامها وتطلعاتها بين خافقه .
3. تحظى المجموعة الشعرية (المرأة والمطر) بمكانة كبيرة في الشعر الحديث، فهي من روائع الشاعر شيركو بيكه س ، وأجمل قصائده الملحمية .

مجلة قەڵای زانست العلمية
مجلة علمية دورية محكمة تصدر عن الجامعة اللبنانية الفرنسية – اربيل، كوردستان، العراق
المجلد (3) – العدد (4)، خريف 2018
رقم التصنيف الدولي: ISSN 2518-6566 (Online) - ISSN 2518-6558 (Print)

اقتضت منهجية البحث أن تكون في : دراسة تضمنت ثلاثة محاور، مسبوقة بتمهيد ومتبوعة بخاتمة فيها نتائج البحث، وعلى النحو الآتي :

التمهيد : خصصناه لـ (تمهيد تعريفي)، استعرضنا فيه : التعريف بالأنسنة، والتعريف بالشاعر .

الدراسة : خصصناها للكشف عن (الأنسنة في شعر شيركو)، فجاءت في ثلاثة محاور، وهي :

المحور الأول : خصصناه لـ (أنسنة ما يتعلق بالإنسان) .

والمحور الثاني : خصصناه لـ (أنسنة الطبيعة) .

والمحور الثالث : خصصناه لـ (أنسنة المعنويات) .

الخاتمة : تضمنت الخاتمة نتائج ما توصلنا إليها في هذا البحث .

وبعدُ فهذه محاولة بحثية لإبراز إحدى الصور الجمالية في شعر الشاعر العراقي الكبير (شيركو بيكه س)، نرجو أننا وفّقنا في هذا العمل .

التمهيد

تمهيد تعريفي

الأنسنة

وهي من المصطلحات البلاغية التي لم يقتصر استعمالها على أدب من الآداب العالمية، أو لغة من اللغات، فعرفها الشعر القديم[1] واستعملها الشعراء من كان ينماز منهم بامتلاكه أدوات اللغة الشعرية، وقدرته الإبداعية على توظيف تلك الأدوات .

عرف الشعر الحديث الأنسنة وشاعت فيه وكثرت كثرة حتى يمكن عدُّها سمة بارزة من سمات الحداثة الشعرية، ولعل مرجع ذلك إلى الغموض والغرابة التي تتسم بها الأنسنة، والرغبة في المشاركة والتفاعل العميقين مع البيئة المحيطة .

وأيًّا كانت الأسباب التي يسوِّغها الأدباء أو الشعراء، تبقى استعمالات (الأنسنة) تشكل أهمية كبيرة في التكوين الشعري .

[1] لم تعرف عند البلاغيين العرب القدامى بهذا المصطلح، وانما عرفت بالاستعارة المكنية، وهي : ((التي اختفى فيها لفظ المشبه به واكتفى بذكر شيء من لوازمه دليلاً عليه)) البلاغة العربية المعاني والبيان والبديع 218، وينظر ايضا : دلائل الاعجاز 67، واسرار البلاغة 45 . 46 .

مجلة قەڵای زانست العلمية
مجلة علمية دورية محكمة تصدر عن الجامعة اللبنانية الفرنسية – اربيل، كوردستان، العراق
المجلد (3) – العدد (4)، خريف 2018
رقم التصنيف الدولي: ISSN 2518-6566 (Online) - ISSN 2518-6558 (Print)

ولا بد في البدء من أن ننبّه على أن هذا المصطلح يختلف في جوهره ومراده في الدراسات المختلفة، ولاسيما الأدبية، ففي المجال الفلسفي مثلاً يُراد به التعبير عن النزعة الإنسانية أو العقلانية أو الرؤيا الكونية للفكر[2]، ممَّا يسوغ لنا عدم الخوض في هذا المجال أو التوسع فيه[3]، وذلك لبعده عن أهداف البحث .

يعدُّ مصطلح (الأنسنة) مصدرًا للفعل (أَنْسَنَ، يُؤَنْسِنُ)، وهو من الاشتقاقات المولَّدة، فلم يرد في معاجم العربية التراثية هذا الفعل، وإذا ما علمنا أنَّ دلالة هذا الفعل تدور حول كلمة (الإنسان)، فإنَّ هذه الكلمة محلَّ خلاف بين اللغويين في جذرها، فقيل : جذرها (أنس)، وقيل : (نسي)[4]، وعلى كلا القولين تكون النون الأخيرة زائدة، وهو ما يجعل الفعل (أنسن) غريبًا عن العربية التراثية .

أمَّا المعاجم اللغوية الحديثة فقد أوردت هذا الفعل واستعمالاته، فـ (((أَنْسَنَ يُؤَنْسِنُ، أَنْسَنةً، فَهُوَ مُؤَنسِن)، ...، و(أَنْسَنَ الإِنْسَانَ) : ارتقى بعقله فَهذَّبه وثقَّفه، أو عامله كإنسان له عقل يميزه عن بقية المخلوقات، ...، و(أَنْسَنَ الحَيْوَانَ) : شبَّهه بالإنسان))[5] .

اما في الاصطلاح، فراح الباحثون يوردون له عدة تعريفات منها : أنها ((إنزال غير العاقلين من الحيوان أو النبات أو الجماد أو المعاني المجردة منزلة العاقل نطقًا وصورةً وحركةً، أي : أن يغدو غير العاقل إنسانًا أو على صورة إنسان))[6] .

وهي أيضًا : ((إضفاء الفنان صفات إنسانية محددة على الأمكنة، والحيوانات، والطيور، والأشياء، وظواهر الطبيعة حيث يشكِّلُها تشكيلًا إنسانيًا، ويجعلها كأي إنسان تتحرك، وتحس، وتعبّر، وتتعاطف، وتقسو حسب الموقف الذي أُنسنتْ من أجله))[7] .

وعرفها آخر بأنها : ((دراسة تبحث في إضفاء صفات الإنسان على المغاير له فيزيولوجيًا، سواء أكان ملموسًا أم ذهنيًا معنويًا، كما أنها تبحثُ في أسباب التوجّه إلى هذا المغاير وإلى عقلنته))[8] .

---

[2] ينظر : أنسنة الليل في شعر ذي الرّمة، عبد الكريم يعقوب وديما يونس (بحث) 137 .

[3] تناولت احدى الدراسات الحديثة هذه المجالات، ينظر : النزعة الانسانية في شعر الرابطة القلمية، فصل سالم العيسى 71 . 76.

4 ينظر : الخلاف الصرفي في العربية 105 وما بعدها .

5 معجم اللغة العربية المعاصرة 1 / 129 (أنس) .

6 أنسنة الطبيعة رؤية شعرية (مقال)، د. أحمد النعيمي .

[7] أنسنة المكان في روايات عبد الرحمن منيف، مرشد احمد 7 .

[8] أنسنة الليل في شعر ذي الرّمة 139 .

مجلة قەڵای زانست العلمية
مجلة علمية دورية محكمة تصدر عن الجامعة اللبنانية الفرنسية – اربيل، كوردستان، العراق
المجلد (3) – العدد (4)، خريف 2018
رقم التصنيف الدولي: ISSN 2518-6566 (Online) - ISSN 2518-6558 (Print)

تحاول الأنسنة خلق عالم جديد في الشعر، لأن ((الشعر لغة يبدعها الشاعر لأجل أن يقول شيئًا لا يمكن قوله بشكل آخر))[9]، وهذه اللغة هي ((أداة تواصل وتفاعل، وهي بالنسبة إلى المبدع حضوره الإنساني بامتياز، إذ هي دمه))[10]، فإن من أبرز غايات الأنسنة هو تحقيق مزيد من التفاعل والتواصل بين عالم الشاعر الإنساني والأشياء من واقعه وبذلك يكتمل حضوره الإنساني في الحياة وفي عالم الشعر .

كذلك فـ ((إن الشاعر إذ يندمج في الأشياء يضفي عليها مشاعره، وقد قيل ذات يوم : إن الفنان يلّون الأشياء بدمه ... فعالم الأفكار، وهو بطبيعته غير واقعي، يحاول أن يصبح واقعيًا بمعانقته للأشياء والبروز من خلالها))[11] .

وحينما يسعى الشاعر في أنسنته إلى أشياء من حوله، فإنه يسعى إلى تحريرها من قيودها وطبيعتها الجمودية، فيجعلها تسمع وترى وتتكلم وتنام وتشعر و و و إلخ ، رغبة منه في استنطاقها، وضم أصواتها إلى صوته، إن صح التعبير، لفعل التغيير المنشود، أو التعبير عن الفكرة أو الموقف أو الشعور .

وهنا تكمن أهميتها بالنسبة إلى الشاعر، أما المتلقّي فهو ما تمنحه صور الأنسنة من التأثير والانفعال العميقين بالقول الشعري، ومقدار الدهشة المبتغاة للوصول إلى القيمة الفكرية المطلوبة .

فلا يتوقَّف الإبداع في الأنسنة الشعرية على جعل الأشياء تحاكي الإنسان في صفاته وطبائعه، بل في كيفية توظيفها داخل الصورة، وأثرها في توضيح المعنى وإبرازه، وفي ما تهيؤه من حالة نفسية أو تفاعلية مع النص، ولاسيما حين تكون داخل صورة مركبة تتنامى فيها الجزئيات لتتكامل في صورتها الكاملة، وهذا ما سيوضحه البحث في صفحاته .

وبناءً على ما تقدم يمكن القول : إن الأنسنة إبداع فني شعري يخلقه خيال (الشاعر / الفنان) في استنطاق الموجودات المادية والمعنوية وتحريرها من قيودها، بما يخلعه عليها من الصفات البشرية والتشابيه الإنسانية بغية المشاركة والتفاعل والتواصل وإحداث التغيير .

[9] بنية اللغة الشعرية، جان كوهين 155 .
[10] فاتحة لنهايات القرن 43 .
[11] التفسير النفسي للأدب، عز الدين اسماعيل 65 .

مجلة قەڵای زانست العلمية
مجلة علمية دورية محكمة تصدر عن الجامعة اللبنانية الفرنسية – اربيل، كوردستان، العراق
المجلد (3) – العدد (4)، خريف 2018
رقم التصنيف الدولي: ISSN 2518-6566 (Online) - ISSN 2518-6558 (Print)

الشاعر شيركو بيكه س[12] (1940 ـ 2013)

هو من أشهر الشعراء الكرد في الوقت المعاصر، ورائد الشعر الكردي الحداثي، وأشهر من برع في قصيدة النثر الكردية .

ولادته ونشأته

ولد في مدينة حلبجة في السليمانية في العام 1940 م، ونشأ في بيئة محبة للأدب والشعر، إذ كان والده الشاعر فائق بيكه س، ذا شهرة ومكانة عظيمتين ليس في مجال الأدب فقط بل هو مناضل وطنيٌ.

أثَّرت هذه النشأة في حياته فسار على نهج أبيه في مسيرته الأدبية والوطنية، فانضم إلى الحركة التحررية الكوردية في العام 1965 م، وعمل بعدها في إذاعة صوت كوردستان .

شيركو السياسي

مارس السياسي شيركو عمله الوطني، فالتحق بالثورة الكردية في العام 1974 م ولكنها منيت بالفشل ولم تحقق أهدافها، فنفي إلى ناحية البغدادي في الأنبار، وبقي فيها ثلاث سنوات .

واستمرت الضغوطات السياسية من قبل النظام الحاكم في العراق، فاضطر إلى السفر خارج العراق، فاستقر به المقام في السويد وبقي فيها حتى العام 1992 م، فعاد إلى كوردستان وانتخب نائبًا في أوَّل برلمان كردستاني، وتسلم بعدها حقيبة وزارة الثقافة في أول حكومة في إقليم كردستان، ولم يبقَ بالمنصب طويلاً بسبب كره العمل الوظيفي ليعود مرة أخرى إلى السويد .

شيركو الأديب

حظي الشاعر (شيركو بيكه س) بمكانة كبيرة ومتميزة في الحركة الأدبية الكردية، فأسس في العام 1970 م حركة روانكة (المرصد) الشعرية، فانضم إليها الكثير من الشعراء الكرد، وقدَّم أعمالاً أدبيةً متميزة فنَشَر أول مجموعة شعرية في العام 1968 م وهي (هودج البكاء) باللغة الكردية .

تنوَّعت أعماله التي جاوزت الثلاثين عملاً شعريًّا بين القصائد الشعرية الطويلة والقصيرة والمقطوعات والمسرحيات الشعرية والقصص الشعرية، فضلاً عن ترجمته رواية (العجوز والبحر) لتولستوي عن العربية إلى الكردية .

---

12 يعني اسم شيركو باللغة العربية (الأسد الجبلي)، و(بيكه س) أي : لا أحد له .

ينظر تفصيل سيرته في : شيركو بيكه س رائد الحداثة الكردي، مقال، 108 ـ 111، وشيركو شاعر الكينونة الكردية، مروان علي، مقال في (جريدة الحياة) .

مجلة قەڵای زانست العلمية
مجلة علمية دورية محكمة تصدر عن الجامعة اللبنانية الفرنسية – اربيل، كوردستان، العراق
المجلد (3) – العدد (4)، خريف 2018
رقم التصنيف الدولي: ISSN 2518-6566 (Online) - ISSN 2518-6558 (Print)

ولشيركو الفضل في إعادة الاعتبار للتراث الكردي الشعري والأسطوري، وتأثرت كتاباته بالسياسة والتاريخ والحكايات والملاحم، حيث تمكن من ابتكار نسق شعري خاص جمع ما بين الحكاية والتاريخ والحوار الدرامي والذاكرة الشعبية والغنائية، وعُدَّ أيضًا ثروة كبرى بالنسبة إلى شعبه، وأنه رجل الموقف، الملتزم، الملتصق بقضايا شعبه .

مكنته موهبته الشعرية الرائدة من كتابة الملاحم الشعرية التي سجل فيها حياة الكرد وتاريخهم ومعاناتهم الطويلة وما ذاقوه من الويلات العذاب والتهجير والتشرد والقتل والسجن، فأصدر قصائد (أنشودتان جبليتان)، و(الصليب والثعبان)، و (يوميات شاعر)، و(وادي الفراشات) .

ترجمت الكثير من أعماله الأدبية إلى عدة لغات، منها : العربية والسويدية والدنماركية والهولندية والإيطالية والفرنسية والإنكليزية، ومن بين ما تُرجم له قصيدته الشهيرة (رالة إلى الرب) التي كتبها عن القصف الكيمياوي على مدينة حلبجة في العام 1988 م .

حصل الشاعر على العديد من الجوائز الأدبية، ومنها جائزة (توشولسكي) في العام 1987 م لنادي القلم في ستوكهولم، ونال أيضًا جائزة الحرية من مدينة فلورنسا في السنة نفسها .

وفي العام 2001 م منح جائزة (بيره ميرد) للشعر في السليمانية، وجائزة (عنقاء الذهبية العراقية) في العام 2005 م .

اختيرت إحدى قصائده مع نبذة من حياته لتدّرس في كتاب (انطولوجيا) للمرحلة الأولى من دراسة المتوسطة في الولايات المتحدة الأمريكية وكندا منذ العام 1988 م .

وفاته

توفي الشاعر الكبير شيركو بيكه س عن عمر يناهز 73 في مدينة ستوكهولم بعد صراع مع المرض في العام 2013 م .

مدخل الدراسة

تعد المجموعة الشعرية (المرأة والمطر) للشاعر شيركو بيكه س من روائع نتاجه الشعري، فهي من أجمل قصائده الملحمية التي تمتزج فيها خصائص كردستان الخاصة جدًا في أحيائها وبيوتها وشوارعها بالجوهر الإنساني الشامل في وحدة امتزاجية تكاملية، فيلتحم الفرد بالجماعة في ملحمية رائعة الجمال والدلالة وفي وحدة إنسانية شاملة لكل المضطهدين والمظلومين والمستلبين[13] .

13 ينظر : أنت سحابة فأمطرك 20 .

مجلة قەڵای زانست العلمية
مجلة علمية دورية محكمة تصدر عن الجامعة اللبنانية الفرنسية – اربيل، كوردستان، العراق
المجلد (3) – العدد (4)، خريف 2018
رقم التصنيف الدولي: ISSN 2518-6566 (Online) - ISSN 2518-6558 (Print)

ولأن الشاعر شيركو بيكه س من الشعراء الذين حملوا القضية الكردستانية بعذاباتها وأوجاعها وأحلامها وتطلعاتها بين خافقه وذاب فيها حتى غلبت على شعره القوي الذي لا يتكشف بسهولة إلا للمتلقي المتعمق في إيحاءات الكلمات ودلالاتها المتعددة وفضاءات الرموز التي تخفيها، فجاءت هذه المجموعة لتتمثل فيها :

- أوجاع كردستان ومدنها (حلبجة) .
- وطبيعتها الجميلة المتنوعة .
- والمرأة وحريتها التي أصبحت حرامًا أكثر من لحم الخنزير .
- ورموز كردستان الكبار كالشاعر مولوي وكلماته المنورة .

فيؤكد أصالة المكان (كردستان) وحضاراته المتجذرة وإنسانه الواعي المدرك لإنسانيته، فالتحمت ذات الشاعر الإنسانية والشعرية في كل قصيدة منها، بل في كل مقطع فيها، وهو لم يكتفِ بهذا بل نراه يلجأ إلى إلصاق صفاته الإنسانية بأشياء غريبة في عملية تبدو في ظاهرها غامضة مبهمة، ولكنها تحمل في طيَّاتها الكثير من المعاني والمواقف والمشاعر، وربما كان وراء ذلك هو الأوضاع السياسية والاجتماعية والإجراءات الأنظمة الحاكمة التعسفية .

تسجل الأنسنة في تجربة شيركو بيكه س الشعرية حضورًا لافتًا وقويًّا، ليس فقط لأنَّها إحدى عناصر الصورة في بنائية الشعر عنده، بل بتفرده في كثرة استعماله لها، وفي براعته وفنيته العالية في توظيفها عبر صوره المركبة المتداخلة، وتترابط فيها بعض الأشياء مع بعض في علاقات تدعو إلى الغرابة والدهشة في بنائها الشعري .

ومن خلال استقراء هذه المجموعة يظهر تعدد مجالات الأنسنة بشكل واضح جدًّا، ويمكن تقسيمها على المحاور الآتية :

1. أنسنة ما يتعلق بالإنسان : وهي : (الصوت، واللحية، والفستان).
2. أنسنة الطبيعة : وهي : (الحية والجامدة) .
3. أنسنة المعنويات :وهي : (الموت، والوحدة، والملل، والهم) .

ولأن الصور الشعرية في الشعر الحديث تتداخل بشكل يصعب معه الفصل بينها، وهذه إحدى سماته العامة، جاءت صور الأنسنة في مجموعة (المرأة والمطر) متداخلة مترابطة تؤدي إحداها إلى الأخرى، وتتداخل أيضًا في مجالات أنسنتها، فنراه أحيانًا يُؤَنسِنُ شيئا من الطبيعة لتتداخل معها أنسنة المعنويات،

مجلة قەڵای زانست العلمية
مجلة علمية دورية محكمة تصدر عن الجامعة اللبنانية الفرنسية – اربيل، كوردستان، العراق
المجلد (3) – العدد (4)، خريف 2018
رقم التصنيف الدولي: ISSN 2518-6566 (Online) - ISSN 2518-6558 (Print)

فتؤدي كل صورة مُؤَنسِنَة دورها في إبراز الفكرة وإيضاحها، وإيصال الشعور، خدمة للصورة الشعرية الكاملة للقصيدة، وهو ما سنلحظه في أثناء البحث .

المحور الأول: أنسنة ما يتعلق بالإنسان

يروم هذا المحور البحث عن قصدية الشاعر شيركو في أنسنة بعض متعلقات الإنسان، وبيان جمالية توظيفها داخل الصورة الشعرية، بما يضفيه عليها من صفات إنسانية تمنحها قدرة فاعلة ومؤثرة .

ولأن شيركو شاعر وطني حمل هموم بلده ومعاناة أبنائه، جاءت إحدى قصائده (مسكننا) لتعبر عن ذلك أصدق تعبير، بوصفه الصورة المصغرة التي تحتضن الفرد موفرًا له الحماية والحرية داخله .

فيستعمل في هذه القصيدة أنسنة ثلاث أشياء من متعلقات الإنسان، وهي : (اللحية، الصوت، الفستان) فيقول فيها :

أَبِي، أَبِي، لِحْيَة أَبِي
صَارَتْ سَتَائِرَ للشُّبَّاك
وَعَبَاءَةً لِلشَّجَر
وَنِقَابًا للأَزْهَار
لِحْيَةُ وَالِدِي تَقِفُ حَارسًا على باب أَحْلامِنا
تَحْجِبُ البَيْتونة والسطح والافريز، لحية والدي[14]

يحاول الشاعر في هذا المقطع، ومن خلال أنسنة اللحية التي هي جزء محسوس في وجه الإنسان وتشخيصها، إبراز شخصية الأب بوصفه صاحب السلطة والقرار، فأكده بتكراره (أبي، أبي) ليختزلها في لحيته التي توحي بلونها الأسود وبطولها، حتى إنها حجبت أضواء الشباك وغطت الشجر والأزهار، ووقفت كما يقف الإنسان لتمنع الأحلام وتطلعات المستقبل وتحجب أضواء الأمل حتى عمَّن كان في (البيتونة والسطح والافريز)، وكأنه يرمز إلى كردستان لأنَّها تقع في شمالي العراق، لتشمل سيطرته كل الأماكن .

ولمَّا كان المسكن موطن الاستقرار والحرية والأمان للإنسان، ومهد الأحلام الجميلة، فقد استعمله الشاعر شيركو رمزًا لوطنه، فعبر عن الكل (الوطن) بالجزء الأصغر (المسكن)، وكانت أنسنة لحية الاب رمزًا لسلطة الحاكم وتجبره وتحكمه في مصائر رعيته، وتقييده لحرياتهم وقمعه لأحلامهم، ووقوفه ضد أحلامهم

[14] أنت سحابة فأمطرك . مختارات شعرية، شيركو بيكه س، ترجمة وتقديم : دانا احمد مصطفى 37 .

مجلة قەڵای زانست العلمية
مجلة علمية دورية محكمة تصدر عن الجامعة اللبنانية الفرنسية – اربيل، كوردستان، العراق
المجلد (3) – العدد (4)، خريف 2018
رقم التصنيف الدولي: ISSN 2518-6566 (Online) - ISSN 2518-6558 (Print)

وتطلعاتهم، مؤكدًا على ذلك من تكراره (لحية والدي) ثلاثة مرات، لتكون سلطة القمع قد أحكمت قبضتها وطالت كل زوايا المسكن (الوطن) .

ولكي تؤدي الأنسنة مهمتها وهدفها في إبراز فكرة الشاعر شيركو وإيضاح معاناة أبناء وطنه، ونقل أحاسيسهم المكبوتة في ظل دكتاتورية سلطوية عليا، جاء اختيار كلمة (لحية) التي توحي بلونها الأسود إلى سوداوية طبيعة العلاقة وسوء المعيشة داخل هذا المسكن (الوطن) ، وأكدتها فيما بعد إيحاء الكلمات : (العباءة، والنقاب) ولونهما الأسود، فأسهم إيحاء الأنسنة اللوني في تكثيف الصورة الحسية ونقل المعنى والشعور .

وقد يرمز في كلمة الشجر إلى النساء الكبيرات في ارتداءهنَّ العباءة، وفي كلمة الأزهار للفتيات الصغيرات في جمالهنَّ وأعمارهنَّ الصغيرة في ارتدائهنَّ النقاب، ليكون تقييدًا لحرياتهنَّ بكل أعمارهنَّ .

ويعرض المقطع أنسنة أخرى في متعلق آخر من شخصية الأب (الحاكم)، فيقول :

أبِي، أبِي، صَوتُ أبِي
مَقَصٌّ يَتَمَدَّدُ وَيَسْتَيْقِظُ[15]

ولاستمرار سلطة الأب (الحاكم) داخل المسكن (الوطن)، يرسم الشاعر شيركو تداخلاً عجيبًا من الصور، فيكون صوتُه وسيلتَهُ المثلى لفرض سيطرته وإحكام سطوته على أبنائه (رعيته) في ارتفاعه وانخفاضه، ليزرع في نفوسهم الخوف والفزع والخنوع، فيمنحه هذا سطوة أكبر حينما أنسن صورته الحسية (المقص)، مستثمرًا حركته في أثناء القطع بين الارتفاع والانخفاض، بإنسان ينام ويستيقظ، وهو بين هاتين الحركتين يكون صوته قد فرض سطوته، سواء أكان ليلاً أم نهارًا، وقطع عليهم حياتهم الهادئة بصوته .

وتأتي أنسنة الفستان في مقطعه الثالث لتكتمل صورة المسكن (الوطن) وطبيعة الحياة فيه، فيقول:

في غُرفةِ شَقِيقتِي
وَفي خِزانِ المَلاَبس
فستانٌ طويلٌ يَصِلُ أسفلَ السَّاق
يُفَتِّشُ ثنايا رُؤوسِنا يَوميًا
يَبحثُ عن
موسيقى المَلاَبسِ القَصيرةِ وعن الشَّفاه الحَمْرَاء في المَجَلاَّت

[15] أنت سحابة فأمطرك 38 .

مجلة قەڵای زانست العلمية
مجلة علمية دورية محكمة تصدر عن الجامعة اللبنانية الفرنسية – اربيل، كوردستان، العراق
المجلد (3) – العدد (4)، خريف 2018
رقم التصنيف الدولي: ISSN 2518-6566 (Online) - ISSN 2518-6558 (Print)

وعن مِنْقَار نَغَمٍ وعن تَفْكِيرٍ شَفَّاف
وعن النَّوادر المحظورة
مَسْكَننا، أيُّ مَسكنٍ عَبُوس الوجه
وحَادٌ المَزَاج نَمْلكُ، مَسكَننا
تَابوتٌ هو مَسكَنُنا[16]

يختار الشاعر في هذا المقطع من مشهد الخاتمة بؤرة مكانية محددة، لينفذ منها إلى تصوير جانب من ظلاميَّة ذلك المسكن (الوطن) وصعوبة العيش فيه، فتكون غرفة شقيقته، بوصفها (فضاء انثويًا)[17]،(وفي خزان الملابس) بالتحديد ينطلق ليعلن أنَّ سياسات السيطرة وتقييد الحريات والهيمنة بالمراقبة والتجسس التي يمارسها الأب (الحاكم)، قد طالت كل مفاصل الحياة الأفراد الشخصية (الرعية)، ولا سيما المرأة، فدخلت في خِزانة الملابس الخاصة بها، فجاءت أنسنة الفستان لأنَّه أقرب الأشياء إلى جسد المرأة، فهو من متعلقاتها الأنثوية، لتكون لديه قدرة أكبر على الفعل للقيام بدور المراقبة وتقييد أكثر لحريتها في ظل الأنظمة السياسة التجسسية، وهو ما أكده الفعلان (يفتش، يبحث) اللذان يعدَّان من أبرز مظاهر تلك الأنظمة، فتطال كلَّ شيء حتى الأفكار الَّتي في الرؤوس، فيستعمل معها الشاعر صيغة الجمع المتَّصل بالضمير (نا) : (رؤوسنا) .

وينتقل الشاعر بعدها إلى تفصيل بقية الأمور الحياتية التي يتشارك فيها أفراد المسكن (الوطن) كافَّة، لتشمل عمليات البحث والتفتيش والخنق مظاهر الحرية الشخصية، كالموضة (موسيقى الملابس القصيرة)، ومتابعة المجلات الفنية (عن الشفاه الحمراء في المجلات)، والمغنين والأغاني (عن منقار نغم)، والأفكار الحرة البناءة (عن تفكير شفاف) ... وغيرها، ليتحوَّل في النهاية هذا المسكن (الوطن) إلى أشبه بالمعتقل المغلق عليهم، وأفراده أشبه بالمعتقلين الذين تمارس عليهم مظاهر المراقبة والتجسس على طول الوقت، ويتحول أيضًا إلى تابوت خانق لا حياة فيه، وهم أموات داخله .

وتأتي خاتمة المقطع والقصيدة لتكتمل فيها ملامح ذلك المسكن (الوطن) العبوس الوجه والحاد المزاج ومعاناة العيش فيه .

[16] انت سحابة فأمطرك 38 .
[17] التشكيل الجمالي للخطاب الكردي 34 .

مجلة قەڵای زانست العلمية
مجلة علمية دورية محكمة تصدر عن الجامعة اللبنانية الفرنسية – اربيل، كوردستان، العراق
المجلد (3) – العدد (4)، خريف 2018
رقم التصنيف الدولي: ISSN 2518-6566 (Online) - ISSN 2518-6558 (Print)

المحور الثاني: أنسنة الطبيعة

تعدُّ الطبيعة بجمالها وسحرها وسعتها وتنوعها ملهمة الشعراء والأدباء منذ العصور القديمة، وهي الواحة التي يلجؤون إليها للتعبير عن الأفكار والمشاعر، فوصفوا أنواعها كلَّها من سماء وأرض وجبال وسهول وأنهار وأمطار وحيوانات وطيور وغيرها .

ويبدو أن تجربة الشاعر الكردي عمومًا وشيركو خصوصًا مع الطبيعة ثريةٌ بالصور والأوصاف، وهي أكثر عمقًا وصدقًا، لأنه ابن الطبيعة التي نشأ وترعرع في أحضانها وبين خضرتها ومائها وجبالها ووديانها وسهولها، متأثرًا بها ومؤثرًا فيها ((حتى كأنه يتلاشى فيها ويتحد معها، فيكون صورة لها وتكون صورة له))[18]، ومن هنا راح يضفي عليها صفاته الإنسانية، فتتكلم وتسمع وتتحرك وتفرح وتتألم وغيرها، وتنعكس عليها ذات الشاعر وأفكاره وأحاسيسه، فما نجده من شعر الطبيعة ليس صورة لها كما هي، أو تفصيلات لحقائقها كما توجد مستقلة، بل كما تخيلها الفنان متأثرًا بعاطفته، فالطبيعة التي نراها في الشعر هي الطبيعة المنعكسة على مرآة خاصة بل هي نفس الشاعر ملونة بألوان خاصة مستمدة من شخصيته ومزاجه[19] .

وتتنوع أنسنة الطبيعة عند الشاعر شيركو تنوعًا واضحًا، فعرض أشكالاً متعددة، منها ما ينتمي لعالم الطبيعة الحيَّة ومنها للطبيعة الجامدة أو الصامتة، والذي يظهر جليًّا في هذه المجموعة (المرأة والمطر) أيضًا، ومن خلال الاستقراء، ميل الشاعر شيركو إلى أنسنة الطبيعة الصامتة منها أكثر من الحية، ولعلَّ مرجع ذلك إلى ارتباطه الوثيق بمظاهرها الصامتة، كـ (الأشجار، والأزهار، والمطر، والضباب، والمسكن، والصخرة، ...) وغيرها، لأنها ممَّا اعتاد رؤيته في بيئة كردستان أو محاولة استنطاقها .

ومن بديع أنسنته ما جاء في قصيدته (الرجم) :

تلك المرأة تُشبِه
ضَبَابًا يرتدي البَياض، طويلةُ القامة كحَسَرَات جبل
مرتبكةٌ كظلال نيرانِ الفوانيس المُرْتَجفة
المُعَلَّقة على جدران الغُرَف[20]

---

[18] ملامح الرمز في الغزل العربي القديم 93 .

[19] ينظر : وظيفة الأدب بين الالتزام الفني والانفصام الجمالي 16، نقلاً عن : التشخيص في الشعر العباسي حتى نهاية القرن الرابع الهجري . دراسة نقدية . 113 .

[20] أنت سحابة فأمطرك 55 . 56 .

مجلة قەڵای زانست العلمية
مجلة علمية دورية محكمة تصدر عن الجامعة اللبنانية الفرنسية – اربيل، كوردستان، العراق
المجلد (3) – العدد (4)، خريف 2018
رقم التصنيف الدولي: ISSN 2518-6566 (Online) - ISSN 2518-6558 (Print)

تتفتح فضاءات هذه القصيدة على المرأة بوصفها المكون المجتمعي الكردي الذي يشارك هموم القضية الكردية وعانى ما عانى من العذابات، فأفرد لها مجموعة من الصفات التي بثَّها في صوره عبر مزاوجة بديعة بين التشبيهات والأنسنة، فأراد لها أن تكون جميلة بيضاء نقية صافية كبياض الضباب الذي أَنْسَنَهُ فجعله كالرجل مرتديًا رداءً أبيض جميلاً، مستمدًا ذلك من جمال مظهر الضباب الكثيف الأبيض في شتاء كردستان، وما تستدعيه صورة الرجل المرتدي البياض في العقلية الإنسانية من معاني النقاء والصفاء والطهر والجمال والسلام، وهنا تبرز الروعة الشعرية عند شيركو في استدعاء تلك المعاني من خلال الربط غير المتوقع بين أنسنة الضباب والمرأة، أو ربما أراد المعنى الحسي لجمال نساء كردستان اللواتي يتسمن بالبشرة البيضاء الرقيقة الصافية، وهذه المرأة على الرغم ممَّا تحمله من جمال الصفات وروعة الصورة، إلا أنها خائفة ترتجف ارتجاف ظلال نيران الفوانيس المعلقة على الجدران .

مَمْشوقة كأسواط أيدي الرجال
سمراء كوجه خانقين ومهمومة كمطر موسم الهجرة
تلك المرأة تشبه ضبابًا، وحين تراها
تبدو وكأنَّها دربونة في حلبجة امتنعت عن الضحك
وحين تنصت إليها
تبدو نايًا كرميانيًا
ولا تعزفه إلا رياح التشرد بـ (عرعر)
وأنفاس الأنفال[21]

فتلك المرأة التي استحوذت على تفكير الشاعر ووجدانه، أخذ يكرر مقطع (تلك المرأة تشبه ضبابًا) داخل القصيدة، ليرصد في كل مقطع منها حالة معينة أو تجربة قاسية لها .

أصبحت تشبه الضباب في عدم وضوح معالمها لوهلة (وحين تراها)، لكثرة همومها حزينة تبدو كـ (دربونة في مدينة حلبجة) التي غدت كامرأة امتنعت عن الضحك لما حلَّ بها من مأساة القتل والتشرد، فاختزل الشاعر هذه المدينة المنكوبة بتلك الدربونة[22]، فعادة ما تكون الدور في هذه الدربونة متجاورة

21 المصدر نفسه 56 .

22 وهي كلمة مستعملة في اللهجة العراقية، وتعني : شارع ضيق داخل الأحياء أو الأزقة .

مجلة قەڵای زانست العلمية
مجلة علمية دورية محكمة تصدر عن الجامعة اللبنانية الفرنسية – اربيل، كوردستان، العراق
المجلد (3) – العدد (4)، خريف 2018
رقم التصنيف الدولي: ISSN 2518-6566 (Online) - ISSN 2518-6558 (Print)

متلاصقة، فيتلاصق فيها قلوب ساكنيها وتتعالى ضحكاتهم أمنًا وسلامًا، ليوصل إلى المتلقي صورة تلك المدينة المسالمة الجميلة .

وأجاد الشاعر في استعمال الفعل (اهْتَنَعَث) في أنسنة الدربونة، للدلالة على رغبتها العميقة في الامتناع التام عن الضحك، بعد أن دمروها وقتلوا أبناءها وحولوا ضحكاتها دموعًا، وأصبحت ألحانها الحزينة للناي الكرمياني لا تعزفها إلا رياح التشرد بعرعر[23]، فجاءت مرة أخرى أنسنة الرياح، ليستمر تأثيرها القوي في استمرارها بعزف ذلك اللحن الحزين المصاحب لأبنائها، وهم يعانون مرارة البعد عن الديار والتشرد حينما نفوا إلى عرعر .

أفادت أنسنة الطبيعة هنا دورًا فاعلاً ومؤثِّرًا في إبراز المأساة الحقيقية لهذه المدينة، وما صاحبها من حالة نفسية لأبنائها .

وفي القصيدة ذاتها نراه يُؤَنْسِن مظهرًا آخر من مظاهر الطبيعة، ليبرز الحالة النفسية الجسيمة التي وصلت إليها من الخوف والرعب، وما أصاب تلك المرأة الجميلة بعدما عانت الرجم بأشكاله : (احجار الرجم، صوت الرجم، ليالي الرجم)، أيضا مشهد الغروب وقطرات ضوء الشمس المتبقية، راسمًا هيئة تلك المرأة عند مجيئها، فجعل ذلك الغروب شخصًا مرعوبًا يتقطر منه عرق الخوف، وجاعلاً المرأة هي الغروب عند مجيئها، ويمثل الغروب اقتراب النهاية أو بداية النهاية لأضواء النهار، كذلك هي تلك المرأة بعد محاصرتها وإغلاق كل منافذ الحرية أمامها، وقد خفت ضوؤها وبدأ الظلام ينسدل عليها، كأنها وصلت إلى نهايتها : الموت بالرجم أو الموت البطيء :

حين تأتي، هي غروب مذعور
يتقطر منها الأصيل[24]

ويرسم الشاعر في مشهد آخر لمجيئها صورًا زمانية تلتحم فيها ذاته الشعرية، فيقول :

حين تأتي
حديقتي نائمة
نوافذي نائمة

23 (عرعر) : وهي منطقة عراقية على الحدود بين العراق والسعودية، وقريب منها سجن كبير يسمى (نـــگرة السلمان)، وهو خاص بالمتمردين على الحكومة العراقية .

24 أنت سحابة فأمطرك 58 .

مجلة قەڵای زانست العلمية
مجلة علمية دورية محكمة تصدر عن الجامعة اللبنانية الفرنسية – اربيل، كوردستان، العراق
المجلد (3) – العدد (4)، خريف 2018
رقم التصنيف الدولي: ISSN 2518-6566 (Online) - ISSN 2518-6558 (Print)

وأصابعي متكورة على حافة تفكيري[25]

فأنْسَن الحديقةَ والنوافذ بإضفاء صفة النوم الإنسانية عليهما، وهي صفة تدلُّ على وقت الراحة والسبات الليلي، ليدلل على أن وقت مجيئها كان متأخرًا جدًا .

وبعد أن يخيم على جو القصيدة معالم الدمار والقهر والقمع، ومشاعر الألم والحزن والخوف، يفتح الشاعر ممرات الأمل بغدٍ أفضل لتلك المرأة التي غدت موضع الرجم، ليكون هو الحبيب والمنقذ، فيصنعان سوية أحلام المستقبل :

ها أنذا قادم لأعلق روحي بجديلتك
لنصنع سوية أرجوحة من الشفق
وأرجوحة من أحلام المستقبل
لتلك المشاعل وزهور القرنفل
وكؤوس الخمر والكتب وآلات الكمان
التي ستغدو أطفالنا[26]

فالأنسنة التي أجراها الشاعر هنا لمجموعة من مظاهر الطبيعة الصامتة، لتكون أطفالهما في المستقبل المنشود، و(تلك المشاعل) للدلالة على إنارة طريق المستقبل بالتعليم، و(زهور القرنفل) للدلالة على الجمال والسلام، و(كؤوس الخمر) للدلالة على الاحتفال والنشوة و(الكتب) على العلم والتعليم و(آلات الكمان) على ألحان الفرح وأوقات السرور .

وبذلك الاندفاع نفسه وتلك العزيمة يكرر الشاعر قدومه بقوة، ليوقظ الريح التي جعلها كأنها شخص نائم غارق في سبات عميق، لتهب بقوة إرادتها لإحداث التغيير نحو المستقبل الأفضل :

ها أنذا قادم كي أوقظ الريح
في نفسك[27]

[25] المصدر نفسه .
[26] المصدر نفسه 64 . 65 .
[27] المصدر نفسه 65 .

مجلة قەڵای زانست العلمية
مجلة علمية دورية محكمة تصدر عن الجامعة اللبنانية الفرنسية – اربيل، كوردستان، العراق
المجلد (3) – العدد (4)، خريف 2018
رقم التصنيف الدولي: ISSN 2518-6566 (Online) - ISSN 2518-6558 (Print)

وأجاد الشاعر في انتقاء لفظة (الريح) بدلاً من (الرياح) لأنسنته، لعمل التغيير الأفضل، لأن الأولى جاءت بصيغة المفرد، فتكون عملية التغيير والنهوض من جديد معتمدة عليها ونابعة من داخلها دون تدخل من أحد، هي دون غيرها (في نفسك)، وأنسن (الريح)، لأن فعل الريح، وهو مظهر من مظاهر الطبيعة، فعل قوي يتغير معها معالم الأمكنة التي تهب عليها، كذلك أراد الشاعر أن تكون نهضتها قوية مغيرة، بينما الرياح وهي بصيغة الجمع التي استعملها في بداية القصيدة كان فعلها المدمر متعددًا على عدة أماكن وأشخاص، (ولا تعزفه إلا رياح التشرد بـ (عرعر) وأنفاس الأنفال) .

فحملت أنسنة الريح (الرياح) على إبراز فكرة التغيير وبقوة، فيجب أن تنبع من دواخل الإنسان ذاته الذي يطمح بالمستقبل الأفضل. وفي إطار الفكرة ذاتها جاءت أنسنة الحيوان، فيقول :

أجعل أنثى صقرك تنطق في الطوفان[28]

فكان صفة النطق والكلام الإنسانية لأنثى الصقر الصامتة المستكينة، وصقرها المسيطر عليها، ليدلل على مجيء الوقت لتنبذ الصمت وتتكلم بقوة وحرية، وأن لا تبقى تحت سيطرته .

واختار الشاعر طائر الصقر، لأنه من الطيور الجارحة المعروف بقوته وإحكام سيطرته على الأجواء من حوله، وكأنه يشير بأنثى الصقر إلى كردستان في صمتها، وعليها أن تنطق وتتكلم وتطالب بحقوقها، ولا سيما وقت الطوفان، والصقر بالنظام الحاكم في البلاد .

فخرجت الأنسنة هنا لتخدم فكرة الشاعر، وهي : كفى صمتًا وسكوتًا وحان وقت النطق والمطالبة بالحقوق في ظل الأحداث (الطوفان)، وليكون انقضاض كلماتها كانقضاض الصقر على فريسته، ويكون هو بذاته الشعرية من أوقد شرارة الكلام والتغيير فيها .

وتتنوع عند الشاعر شيركو أنسنة الطبيعة بشكل لافت جدًا، إذ يكون لأنسنة المدن حضور مميز، فجعل لكل واحدة منهن صفة إنسانية معينة يروم بها التأكيد على معنى او حالة، ولأن هذه المدن تشكل بؤرة مكانية واقعية حفرت في فكره وخياله موقفًا وإحساسًا عميقين، فنراه في قصيدة (المرأة والمطر) يذكر مدينة (ستوكهولم) التي عاش فيها بعد رحلة النضال، فيقول في مستهلها :

الوقتُ صباح، بينما (ستوكهولم) تضع يديها في جيبها
وأصابع قدميها تخدرت وهي متكورة أمام العاصفة الثلجية ترتجف مثلي[29]

[28] المصدر نفسه 65 .
[29] المصدر نفسه 42 .

مجلة قەڵای زانست العلمية
مجلة علمية دورية محكمة تصدر عن الجامعة اللبنانية الفرنسية – اربيل، كوردستان، العراق
المجلد (3) – العدد (4)، خريف 2018
رقم التصنيف الدولي: ISSN 2518-6566 (Online) - ISSN 2518-6558 (Print)

فهو يجعل من مدينة ستوكهولم امرأة تعاني البرد القارص، فهي ترتجف في صباح شتوي ثلجي عاصف، فصوَّر هذا الارتجاف بوضع اليدين في الجيب وأصابع القدمين متخدرة ومتكورة من شدة البرد لا أحد يدفيها، فهذه المرأة (ستوكهولم) تحتضنه وتشاركه قساوة هذا الجو البارد الثلجي، فترتجف مثله ليشعر معها بالألفة، فهو ليس غريبًا وحيدًا في هذا الزمن، ولا سيما أوقات الشتاء البارد، حينما يمكث الناس منعزلين في بيوتهم .

وفي قصيدة (مولوي)[30] التي خصها الشاعر شيركو فيدمج في صوره بين أنسنة المدن وأنسنة المعنويات كما في هذه الصور :

يا حضرة الكلمة المنورّة والقلم الثلجي
يا مَن لسانُك لسان كلمات الخالق البيضاء
وصمتك في الخلوة ساقية المعاني
ويا مَن انطواؤك وجد الليالي
للعشق المطلق
فبعد رحلة مولانا السمندر
بقيث لديك شرارة، كان رأسك فنار
أسفاره
توهجت بجناحيك في مديات الاحتراق
فتارة أصبحت أبخرة الشاطئ وساحل بحر ناءٍ قريبًا من ألم روح هندستان
وتارة اخرى أصبحت صيّب منظر شبابيك وحدانية الإله[31]

ولأن للكلمة والقلم عند الشاعر مولوي مكانتهما عند متلقيهما خصَّها الشاعر شيركو بأنسنته حينما جعلها أميرة أو سلطانة أو أي منصب عالٍ، فناداها بـ (يا حضرة الكلمة المنورة)، فاستعار لها تسمية (حضرة) التي تستعمل زمن الدولة العثمانية لذوي المكانة العليا، فخاطبها خطاب الإنسان للآخر، فكان لها لسان يتكلم

[30] مولوي : هو شاعر وصوفي من أشهر الشعراء الكرد، اسمه : كامل عبد الرحيم ملا سعيد مولوي الطوغوزي، ولد في قرية شرسته (حلبجة) في السليمانية سنة 1806، تعد أشعاره من روائع الأدب الكردي، وتوفي سنة 1882 م . ينظر : موقع ويكيبديا

[31] أنت سحابة فأمطرك 69 . 70 .

مجلة قەڵای زانست العلمية
مجلة علمية دورية محكمة تصدر عن الجامعة اللبنانية الفرنسية – اربيل، كوردستان، العراق
المجلد (3) – العدد (4)، خريف 2018
رقم التصنيف الدولي: ISSN 2518-6566 (Online) - ISSN 2518-6558 (Print)

بكلمات تشبه كلمات الخالق البيضاء في سموها وبلاغتها وإشراقها في النفس والقلب، وفي صمتها ارتواء المعاني كأنها ساقية ماء يرويها فتزيدها قوة وشرف، وفي انطوائها وعزلتها استمرار لعشق الليالي .

ويبقى لهذه الكلمة (بعد رحلة مولانا السمندر[32]) شرارة، فيكون رأسها فنارًا يهتدي به في أسفاره، فتتوهَّج في الأوقات العصيبة والأمكنة البعيدة (مديات الاحتراق)، فمرَّة تصبح مثل أبخرة الشاطئ في خفَّتها ورقَّتها، ومرة تصبح ساحل بحر بعيد يعاني الوحشة والغربة، ليكون قريبًا من ألم روح مدينة هندستان البعيدة، فجعل لها روحًا كروح الإنسان تشعر بالألم، (قريبًا من ألم روح هندستان)، وقد عانت كثيرًا من الويلات والحروب في سبيل الحرية والاستقلال .

ويمنح الشاعر في أنسنة (الكلمة) مكانة أكبر وسلطة أعظم، فيخلصها ويحررها من قيود الورقة والمحبرة، لتقود المسيرة نحو التغيير، وليؤكد على دورها في صنع الثورات واسترداد الحرية والحقوق، ولاسيما حينما تصدر من شخصيات لها ثقلها الاجتماعي والثقافي .

وفي قمة إبداع الشاعر شيركو في تصوير (الكلمة) وأنسنتها، ينفتح على شخصية (مولوي) هذا الشاعر الكبير الذي شكَّل رمزًا وطنيًّا كرديًّا، ليصف مشهدًا رائعًا حينما حمل هم قضية شعبه الكردي، فجعل من ذلك الهم الكبير والشديد إنسانًا يرتدي معطفًا أحمر بلون حمرة ورد الجلنار :

كان معطفك الطويل الأحمر هو الجلنار الذي يلبسه همُّك
أنت الذي حوَّلت اللون إلى الصوت
وصيرت الصوت شهودًا[33]

فذلك الهم بالقضية الكبرى منحه القوة على التغيير والتحويل من حالة إلى أخرى، فحول اللون الذي هو كل مادي ومحسوس ومرئي إلى أصوات وكلمات منطوقة ومسموعة، ثم منحها قوة أكبر على الفعل والتغيير والبدء به حينما أنسنها، أي جعل الأصوات أناسًا تشهد بما ترى وتسمع من الأحداث والوقائع .

ويختار الشاعر في موضع آخر لأنسنة (الكلمة) صفة الصمت في موقف رأى فيه عجز الكلمات عن التعبير عمَّا يجري، فكأنَّها غنسان رأى أنَّ الصمت أبلغ من الكلام البليغ المعبِّر، وهذا ما صوَّره في مشهد يصف فيه رحلته في قطار من مدينة (ستوكهولم) الغريبة عليه، فيرى نفسه في مكان غير مكانه، وفي وطن غير

[32] السمندر : لم نقف على حقيقة هذه الشخصية، ويبدو لنا أنَّها شخصية صوفية معروفة لدى الشَّاعر، والغريب أنَّ مترجم المجموعة الشعرية لم يوضِّح حقيقتها، في حين نجده يترجِم لأعلام آخرين ورد ذكرهم في قصائده .

[33] أنت سحابة فأمطرك 70 .

مجلة قەڵای زانست العلمية
مجلة علمية دورية محكمة تصدر عن الجامعة اللبنانية الفرنسية – اربيل، كوردستان، العراق
المجلد (3) – العدد (4)، خريف 2018
رقم التصنيف الدولي: ISSN 2518-6566 (Online) - ISSN 2518-6558 (Print)

وطنه، فيبدو له كلُّ شيء غريبًا، ويشعر بتفكيره ضبابيًّاغير واضح، فلا يرى مكانًا لقصيدته ولا سماءً ولا لونًا من ألوان الرغبة لديه، لذلك لزمت كلماته الصمت :

ها هو القطار يسرع الآن ويزداد أزيزًا
...
فأرى العمارات والقصور، البراري والسهول، الجسور والحقول
والأعمدة بأسلاكها والأشجار والنباتات والطرقات
كلها تطير في باصرتي
إنَّما تفكيري
لم يزل زجاجًا ضبابيًّا لا يتراءى فيه
أيّ موقع جديد للقصيدة وأيّ سماء
وأي لون أخضر أو أحمر للرغبة
وأي تراب في أعماقي
كلماتي تلزم الصمت
أشبه حقيبة مغلقة موضوعة على أحد الرفوف[34]

المحور الثالث: أنسنة المعنويات

حظيت المعنويَّات في شعر شيركو بنصيب كبير من الأنسنة، إذ شاعت في مجموعته الشعرية وتنوَّعت، وقد مرَّ ذكر بعضها في المحورين السابقين .

ذكر الشاعر في قصيدة (الشمس والأغنية والعطر) أنسنة خاصَّة بالمعنويَّات، ينقل فيها مشاهد من عشقه الأبدي لكردستان ومدنها وأجوائها حتَّى ملأت وجوده، فتراءت له في تنقلاته بين العواصم الثلاث (أوسلو، ولندن، وبرلين)، فيقول فيها :

رأيتها في أوسلو
...
رأيتها في لندن
كانت عائدة من حنجرة المشرق

[34] المصدر نفسه 44 .

مجلة قەڵای زانست العلمية
مجلة علمية دورية محكمة تصدر عن الجامعة اللبنانية الفرنسية – اربيل، كوردستان، العراق
المجلد (3) – العدد (4)، خريف 2018
رقم التصنيف الدولي: ISSN 2518-6566 (Online) - ISSN 2518-6558 (Print)

وأحضرت معها
عددًا من الأغاني الصفراء والحمراء
أخذت منها أغنيتين للطريق
ظلت غربتي
طيلة شهر كامل
تمسك برئاسة الدبكة في محطات الرحلة[35]

صوَّر الشاعر في هذا المقطع أنسنة (الغربة) شيئًا معنويًا، فجعلها ذاته الإنساني يرقص ويترأس الدبكة على أنغام أغنيتين أخذهما (من حنجرة المشرق) : (سابلاخ) وهو يتسلَّى بها طيلة شهر كامل .

ونلحظ في هذا المقطع أيضًا أنَّه سبق أنسنة (الغربة) بأنسة أخرى حين جعل لـ (المشرق) حنجرة، وفيه دلالة على أوقات الفرح والسلام التي كان ينعم بها أكراد المشرق :

رأيتها في برلين
كانت عائدة من جنان المشرق
أحضرت معها ملءَ كفِّها عطرًا
أخذت القليل منها لقصيدتي
إلى أن عدت إليكم
ظلت وحدتي تنتشي من ذلك العطر

جاءت أنسنة الشاعر في هذا المقطع لـ (وحدته) الصعبة، وهو يقاسي لوعة الغربة، فجعلها إنسانًا يشمُّ العطر وينتشي به فرحًا وسرورًا، فهذا العطر هو رمز من رموز مدينة دهوك الجميلة، إذ ذكر أنَّها أحضرته من أزاهير جنان المشرق .

ولكي تكتمل الصورة الحسية بجوانبها كافَّة يمزج في هذا المقطع بين ما يرسمه من صورة شمية (ملء كفها عطرًا)، فهي تنتشي من ذلك العطر، وأنسنته (ظلَّت وحدتي)، لتخفِّف وطأة الوحدة على ذاته الشاعرة، ويتمكن من العودة إليكم .

[35] المصدر نفسه 39 . 40 .

مجلة قەڵای زانست العلمية
مجلة علمية دورية محكمة تصدر عن الجامعة اللبنانية الفرنسية – اربيل، كوردستان، العراق
المجلد (3) – العدد (4)، خريف 2018
رقم التصنيف الدولي: ISSN 2518-6566 (Online) - ISSN 2518-6558 (Print)

الخاتمة ونتائج البحث

بعد هذه الرحلة السريعة مع شعر الشاعر العراقي الكبير شيركو بيكه س وقفنا فيها على ملمح واحد من الملامح الإبداعية والجمالية، ألا هو (الأنسنة)، نخلص إلى مجموعة من النتائج، وهي :

1. تداخلت صور الأنسنة في شكر شيركو حتَّى صَعُبَ الفصل بينها .
2. شكل استعمال الأنسنة في ميدان بحثنا سمة شعرية بارزة .
3. شاع استعمال أنسنة الطبيعة عند شيركو قياسًا بالمحاور الأخرى .
4. ركَّز الشاعر في تصوير الأنسنة على أوضاع الشعب الكردي العامَّة وهمومه وتطلعاته وآماله .
5. كان للمرأة أثر واضح في أنسنة الشعر عند شيركو، فضلاً عن الرموز الكردية والمدن .
6. مزجت صور الأنسنة بين ذاتية الشاعر الإنسانية والشعرية .

قائمة المصادر والمراجع

المصادر :

- أنت سحابة فأمطرك ـ مختارات شعرية، شيركو بيكه س، ترجمة وتقديم : دانا احمد مصطفى، السليمانية، ط 1 / 2004 م .

المراجع :

- أسرار البلاغة ، أبو بكر الجرجاني (474 هـ)، قرأه وعلق عليه : أبو فهر محمود محمد شاكر، مطبعة المدني، القاهرة، ط 1 / 1412 هـ ـ 1991 م .
- أنسنة الطبيعة رؤية شعرية، الدكتور أحمد إسماعيل النعيمي، مقال منشور في جريدة المؤتمر العدد (2976) ـ 21 / أيار / 2014 م
- أنسنة الليل في شعر ذي الرّمة، عبد الكريم يعقوب، وديما يونس، بحث منشور في مجلة (دراسات في اللغة العربية وآدابها)، العدد (21)، ربيع وصيف 2015 م .
- أنسنة المكان في روايات عبد الرحمن منيف، مرشد احمد، دار الوفاء لدنيا، الاسكندرية، ط 1 / 2003 م .
- بنية اللغة الشعرية، جان كوهن، ترجمة : محمد الولي ، ومحمد العمري، دار توبقال للنشر، الدار البيضاء، ط 1 / 1986 م .

- التشخيص في الشعر العباسي حتى نهاية القرن الرابع الهجري دراسة نقدية، الدكتور ثائر سمير حسن الشمري، دار صفاء للنشر، عمان، ط 1 / 143 هـ ـ 2012 م .
- التشكيل الجمالي للخطاب الأدبي الكردي ـ الهوية والمتخيل، الدكتور محمد صابر عبيد، ط 1 / 1436 هـ ـ 2015 م .
- التفسير النفسي للأدب، دكتور عز الدين اسماعيل، دار العودة، ودار الثقافة، بيروت، 1962 م .
- الخلاف الصرفي في العربية، ناصر سعيد ناصر العيشي، رسالة ماجستير مقدمة إلى كلية الآداب، الجامعة المستنصرية، 1998 م .
- دلائل الإعجاز، أبو بكر عبد القاهر بن عبد الرحمن الجرجاني (474 هـ)، قرأه وعلق عليه : أبو فهر محمود محمد شاكر، مكتبة الخانجي، القاهرة، 2004 م .
- شيركو بيكه س رائد الحداثة الكردي، إعداد : أيهم اليوسف، ملف منشور في مجلة نزوى، العدد (76)، أكتوبر 2013 م .
- شيركو شاعر الكينونة الكردية، مروان علي، مقال منشور في جريدة الحياة، ٦ / آب / ٢٠١٣ م .
- فاتحة لنهايات القرن، أدونيس، دار العودة، بيروت، ط 1 / 1980 م .
- معجم اللغة العربية المعاصرة، الدكتور أحمد مختار عمر وآخرون، عالم الكتب، ط 1 / 1429 هـ - 2008 م .
- ملامح الرمز في الغزل العربي القديم دراسة في بنية النص ودلالاته الفنية، الدكتور حسن جبار محمد شمسي، دار السياب، لندن، ودار اليقظة الفكرية، دمشق، ط 1 / 2008 م .
- النزعة الانسانية في شعر الرابطة القلمية، فضل سالم العيسى، دار اليازوري العلمية، عمان، 2006 م .